سينما

أفلامٌ في مسابقة «مهرجان فينيسيا 81»

طرحٌ مُتكرّر لمشاكل بشرية معقّدة

أفلامٌ مشاركة في مسابقة «مهرجان فينيسيا 81» تلتقي عند كشفها و تفكيكها النفس البشرية بعوالمها المختلفة والمتناقضة والمعقّدة والمركّبة

فينيسيا ـ **محمد هاشم عبد السلام**

تكشف غالبية أفلام مسابقة الدورة الـ81 (28 أغسطس/ آب . 7 سبتمبر/ أيلول 2024) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي»، الفلسفة الخاصة ببرمجة الأفلام هذا العام، التي ضمّت توليفة تطرح أساساً قضايا إنسانية معاصرة وآنيّة ملحّة، معظمها عن العلاقات البشرية المركّبة والمعقّدة وغير السويّة. وذلك في إطار عام يمزج الاجتماعي بالنفسي والجنسي. كما أنّ هناك حضوراً للتاريخ الحديث، بغرض إسقاطات على الواقع السياسي الراهن، والمشاكل التي يمرّ بها العالم المعاصر. تجلّى هذا في «ساحة المعركة»، لجياني أميليو: إنّها الحرب العالمية الأولى، لكنْ من دون ظهور جبهةٍ أو معركة، ومن دون سماع أصوات رصاص ومدافع. مع هذا، النصّ في صلبها، فنكابد معاناة من نوع آخر. يعود جنود مراهقون إلى المستشفى العسكري بإصابات، تتراوح بين فادحة وخطرة ومتوسّطة. رغم ذلك، يُدفعون إلى الجبهة مجدّداً، وإنْ بعين واحدة أو بطرفٍ مبتور. الجميع يودّون الفرار، ولا أحد يريد الموت. الجميع يرغبون في عيش الحياة مع أهلٍ وأسَر.

من دون توقّع، يظهر الطبيب الشاب ستيفانو، الذي يعالج جروحهم بإيذائهم، فيصبحون غير صالحين للقتال. تدريجياً، يلتمس معظمهم أنْ يُشوّهوهم. في هذا، تنضم إليه ممرضة، ما يُعقّد الأمور.

في «أنا ما زلت هنا»، يعود والتر ساليس إلى واقعةٍ تاريخية، عن مختفين قسراً في فترة حكم الديكتاتورية العسكرية في البرازيل، عبر قصة روبينز بايفا وأسرته: زوجته يونيس، محامية سياسية، وخمسة أبناء. تولّت الزوجة مسؤولية الأسرة، ولم تتوانى عن البحث عن زوجها، بعد القبض عليه، واختفاء أي أثر له في أوائل سبعينيات القرن الـ20، ولم يعثر على رفاته ورفات آخرين غيره حتى اللحظة.

من الأفلام التي تحذّر من الراهن، مستلهمة الماضي (ثمانينيات القرن الـ20) في أميركا (أحداث حقيقية): «أوامر» لجوستين كورتزل. عن حركة يمينية متطرّفة وعنيفة، تؤمن بتفوّق العرق الأبيض وضرورة سيادته، وإقامة دولته الخاصة. تسعى الحركة، بقوة وعنف ودموية، إلى إقامة وطن خاص بأصحاب البشرة البيضاء، والتخطيط لبثّ الرعب والفوضى وتفتيت الولايات المتحدة. تتولّى الـFBI أمرها، لكنْ بعد معاناة شديدة. فيلم آخر يتناول، بغرابة، هشاشة العلاقات الإنسانية، ويتساءل عن جدواها وجديتها، خاصة الارتباط والزواج والرفقة والدور المحوري للحب في استمرارها من عدمه، وعمّا إذا كان الحب يدوم أم لا: «ثلاث صديقات» لإيمانويل موريه. كيف التبست المشاعر المركّبة، وتداخلت علاقات الحب في حياة ثلاث صديقات، إلى درجة تُثير أسئلة كثيرة عن العلاقات الغرامية، وعن علاقات الصداقة والمودة والصدق والالتزام والخيانة.

> علاقات بشرية مُركّبة ومعقّدة وحرب قاسية وخراب كبير

في الإطار نفسه، هناك علاقات شَدّ وجذب وحب ونفور وطاعة وإخلاص وتكبّر وسيطرة، بين أسطورة الغناء الأوبرالي ماريا كالاس، في «ماريا» لبابلو لارين، وخادمها وطبّاخها، الشخصان الوحيدان اللذان عاشت معهما كالاس أيامها الأخيرة، التي شهدت معاناتها أزمات عدّة، متعلّقة بالوحدة وانحسار الأضواء والابتعاد عن الأوبرا، ومسائل صحية (اعتلال قلبها) ونفسية أساساً. تتجلّى معاناة من كانت مالئة السمع والبصر، التي باتت مدمنة على عقاقير الاكتئاب، في محاولة للتخفيف عن نفسها، لكنْ من دون جدوى.

تعقيدات النفس البشرية، وتحديداً المشاكل الجنسية والاضطرابات النفسية المترتبة عليها، وصعوبات العلاقة الزوجية، وعدم المصارحة، وكتمان الرغبات، والكذب والادّعاء، وإنْ في إطار أسرة سعيدة، وزواج ناجح، وامتلاك ثروة مالية ومكانة اجتماعية؛ هذا كلّه في «بايبي غيرل» لهالينا راين، التي لم تفلح في سبر أغوار البطلة، التي تعاني مشكلة جنسية تتعلّق بتركيبتها الشخصية القيادية المسيطرة، وربما الاستبدادية، والتي تخضع في النهاية، كعبد مطيع، لرغبات شاب ونزواته، جاء للتدرّب في شركتها، أملاً في نيل وظيفة بقيادتها. في نوع رائج تُبرمج أفلامه عادة في أي مهرجان، يطلق عليه «أفلام النضج»، أو الانتقال من المراهقة إلى البلوغ، هناك «أولادهم مثلهم» للودفيك وزوران بوخرما: في بلدة ريفية هادئة في شرقي فرنسا، يمضي مراهقون، يبحثون عن مستقبل ما غير محدّد، أوقاتهم بلا هدف واضح، أو سعي حثيث إلى تحقيق طموح ما. تحضر مشاكل المراهقة والبلوغ، والمخدرات والجنس، والحب والعلاقات الفاشلة، والعنف والتنمّر، بصُور مختلفة، في استعراض أحداثٍ لطبقتين اجتماعيتين، متوسّطة وثرية. لكنْ، بعيداً عن تفاصيل الأحداث الخاصة بالمراهقين، يُلمّح الفيلم إلى أنّ للأسرة والأهل والتربية الدور الأول والأخير.

أمّا الأكثر بروزاً، فنياً وجمالياً وسينمائياً، الذي اتّسم بجدّة في الموضوع والطرح والتناول والمعالجة، وجودة أداء، وبراعة تنفيذ سينمائية، كان «اقتل الفارس» للويس أورتيغا: أحد أبطال الفروسية يعاني إدماناً شديداً، إلى درجة عدم قدرته على المنافسة، ما يدفع الكبار حوله إلى إعادته إلى صوابه، كي لا يخسروا أعمالهم ومراهناتهم. رغم بساطة القصة، ومحدودية الشخصيات والخيوط السردية، ليس الفيلم سهلاً في التناول العبثي، وأحياناً الفانتازي المفارق للواقع أحياناً كثيرة. مع ذلك، يسهل جداً تقبّل هذا العالم الغريب، والتفاعل والاندماج معه، فلا يُدهَش أحدٌ لرؤية البطل يمشي على جدار أو سقف، فوفقاً لبنية الفيلم وسرديّته، هذا الأمر طبيعيّ.

انجلينا جولي في «فينيسيا 81»: إنّها ماريا كالاس في أيامها الأخيرة (ستيفان كارديناليي/Getty)

أفلام جديدة

■ Jouer Avec Le Feu لدلفين وموراي كولان، تمثيل فانسان ليندون وبنجامن فوازن وصوفي غيّيومان (WireImage) وستفان كرِبّن: يتولّى بيار، وحده، مهمّة صعبة للغاية: تربية أبنائه. لوي الأصغر سنّاً بينهم ينجح في دراسته، ويتقدّم في الحياة. فوس، الأكبر، ينجرف بعيداً ويخوض اختبارات قاسية وغير سوية. بسبب افتتانه بالعنف وتوازن القوى، أصبح أقرب إلى الجماعات اليمينية المتطرّفة، وهذا يتناقض كلّياً مع قِيَم والده.

■ Lettres Siciliennes لفابيو غراسّادونيا وأنتونيو بياتزا، تمثيل توني سِرفيلّو وإليو جرمانو ودانيالاّ مارّا (WireImage): صقلية، بداية القرن الـ21. بعد سنوات أمضاها في السجن بتهمة التواطؤ مع المافيا، خسر كاتيلو، السياسي المخضرم، كلّ شيء. تطلب المخابرات الإيطالية مساعدته للقبض على ابنه الروحي ماتيو، آخر زعيم مافيا هارب، فينتهز الفرصة للعودة إلى هذا العالم. ماكر بمائة قناع، ومخادع لا يكلّ. يبدأ مراسلات مع الهارب، ساعياً إلى الاستفادة من فراغه العاطفي.

■ Finalement لكلود لولوش، تمثيل كاد مِراد وإلسا زيلبرشتاين (WireImage) وميشال بوجونا: في عالم يبدو مجنوناً، وجنونه يزداد يوماً تلو آخر، يشعر الرجل الذي كان لديه كل شيء (أسرة ونجاح وعمل ومكانة) أنّه يفقد توازنه، لشدّة الاختناق الذي يحاصره. فهل هو كاهنٌ ذو صيت سيئ، أم مخرج أفلام للكبار، أم عازف بوق؟ رغم كونه مطلوباً، يتجوّل في أنحاء فرنسا كلّها.

■ Wolfs لجون واتس، تمثيل براد بيت وجورج كلوني وآمي راين (Getty) وأوستن أبرامز: محترف مسؤولٌ عن تنظيف مسارح الجرائم يتصادم مع محترفٍ آخر لديه المسؤولية نفسها في مكان حادثٍ عنيفٍ مليء بجثث. يجد «الذئبان» المنفردان نفسيهما، حينها، مُجبَرين على التعاون معاً، والشروع في عيشِ ليلةٍ جهنّمية، لن تسير الأمور فيها بحسب المخطّط لها مسبقاً.

■ Maldoror لفابريس دو فلتز، تمثيل أنتوني باجون وألبا غايا بيلّوجي (Getty): بلجيكا عام 1995. يثير اختفاء مراهقتين غضب السكان، ويثير صخباً إعلامياً غير مسبوق. ينضم بول شارتييه، الشرطيّ الشاب المثالي، إلى العملية السرية «مالدورور»، الخاصة بمراقبة مشتبه بارتكابه جرائم متكرّرة. في مواجهة الخلل الوظيفي في نظام الشرطة، ينطلق وحده في عملية مطاردة، ستجعله يغرق في الهوس.

«سكون» فيلمٌ قصير لدينا ناصر

تكثيفٌ دراميّ وتمثيل حِرفيّ وحكاية قاسية

نديم جرجوره

هند (ملك نصّار) تعشق الكاراتيه. تجهد في بلوغ مرتبةٍ أولى في مدرستها، لتتمكّن من المشاركة في بطولةٍ دولية. تُقيم مع والدتها ندى (سهاد الخطيب)، المهمومة بها، فالأب غائب، والابنة مُصابة بعطب كبير في حاسة السمع، والحيوية جزءٌ من يوميات مُراهقةٍ تُتقن مواجهة التحدّيات رغم ذاك العطب، أو ربما بسببه. مُدرّبها سعيد (نديم الريماوي) متفائلٌ بهذا، إذْ يجد فيها طاقة وحِرفية وعناداً جميلاً، ويشعر أنّ هذا كلّه سيساهم في تحقيق المُراهقة لرغبتها.

روتينٌ عادي تعيشه هند وندى يومياً، في «سكون» (2024، 19 دقيقة) للأردنية الفلسطينية دينا ناصر، المعروض أولاً في «أجيال» الدورة الـ74 (15 . 25 فبراير/شباط 2024) لـ«مهرجان برلين السينمائي». لهند خصوصيةٌ، تُدركها ندى وتحترمها، وتتفهّم حاجات ابنتها وطموحها وحيويتها. والروتين هذا، إذْ يوحي بملل أو ثقل، يُصوَّر بتبسيطٍ ليُصبح مساراً حياتياً غير مُملّ وغير ثقيل، واللاحق يؤكّد هذا. تصوير (إيريك ديفين) ينتقل بين إضاءة ملوّنة وعتمة يفرضها ليلٌ وشتاءٌ. وهذا يتلاءم مع سرد حكاية والتقاط حالةٍ يحصّنان النصّ السينمائي (سيناريو ناصر) من إطالةٍ تصنع مللاً وثقلاً أحياناً، وهذا لا علاقة له بأنّ الفيلم قصيرٌ، إذْ يحدث أنْ يكون فيلمٌ قصيرٌ مملاً وثقيلاً، إنْ يقع في ثرثرة وفراغ. «سكون» مُكثّف دراميّاً ومضبوط سردياً، ولا فراغ فيه أو ثرثرة. بسلاسةٍ وشفافية وهدوء، تُقدّم دينا ناصر ملامح شخصيتي هند وندى، ومعالم الحيّز المكانيّ المُقيمتين فيه، والعالم المحيط بهما. بإتقانٍ وحِرفية، يساهم الصوت (تصميم وميكساج إنْسِيه مَلكي) في صُنع الحكاية، بما يتوافق ومُصاب هند، وهذا يُقوّي التفاعل مع حالتين: أولى خاصة بهند، وثانية خاصة بكل شيء وبكل أحد خارج هند. فتصميم/ميكساج الصوت يحدّدان الفاصل بين الحالتين، وفي الوقت نفسه يُدخلان إحداهما بالأخرى، فهناك حاجة إلى التداخل أحياناً، في مقابل أولوية الفصل، لأنّ المُراهِقة مندفعةٌ ومتماسكة وذات شخصية قوية، ما يعني أنّ لها استقلالية تتطلّب فصلاً كهذا. و«سكون»، يتوغّل في ذاتٍ وروح وانفعال، مع كاميرا تلتصق بهند أحياناً، لجعل مُشاهِدٍ مهتمّ يرغب في فهم الحاصل في ذاتها وروحها وانفعالها، وتبتعد قليلاً عن ندى وآخرين، فالمسافة معهم أفضل لكشف حضورهم في كلّ لحظة، ولتبيان تأثيراتٍ يُنتجونها في علاقتهم بهند أساساً، فتكون المسافة مرآة لهذين الكشف والتبيان. لكنّ هناءً حاصلاً في تلك اليوميات، معطوفاً على حيوية هند وطموحها وحماستها واندفاعها، وعلى توتّر ندى وقلقها ومثابرتها على الإحاطة بابنتها، والإحاطة ظاهرة حسّياً وعاطفياً؛ هذا الهناء ينكسر فجأة، إذْ تتعرّض هند لفعلٍ مرفوض، لكنّه يُصيبها بعطب آخر، يدفعها إلى عزلةٍ وانغلاق أكبرين، فيُحدث انفصالٌ إضافي بين عالمها وعالم ندى، التي لن تعرف الحاصل مع ابنتها، لكنّه تظنّ أنّ أمراً ما له علاقة بالمباراة الدولية المنتظرة سببُ ذلك.

إنْ يكن «سكون»، المُشارك في مسابقة الأفلام القصيرة في الدورة الـ11 (19 . 25 سبتمبر/أيلول 2024) لـ«مهرجان طرابلس للأفلام» (شماليّ لبنان)، مرآة حالةٍ تمثّلها مُراهِقةٌ، والمُراهَقة مُتعبةٌ أصلاً، فإنّ ملك نصّار بارعةٌ في تأدية دورها، ومنسجمة مع متطلّباته، ومتفاعلة مع خصوصية هند. بحركتها وسلوكها وتعاطيها مع المسائل والناس، تُقدّم نصّار دوراً متماسكاً وجاذباً، وهذا غير حائل دون تنبّه إلى تمثيل آخر، متوافق ووظيفته الفنية والدرامية، والبشرية أيضاً.

ملك نصّار في دور هند: صلابة شخصية وإتقان اداء (الملف الصحافي)

> ملك نصّار تؤدّي دور مراهقة صمّاء ببراعة لافتة للانتباه